خاتم الأنبياء

بون ـ ٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٠

لا بد أن يتطور المفهوم الصحيح عن الله "الواحد الفرد الصمد الذي لا شريك له" في آخر المطاف، في طور التطور الفكري للإنسان. فتعدد الآلهة لا بد أن يتحول ذاتياً إلى علاقة هرمية لمجموعة من الآلهة وذلك إذا أدركنا فقط أن كل غازٍ منتصرٍ فاتحٍ يفرض إله (أو آلهة) قبيلته على الذين غزاهم وانتصر عليهم وأخضعهم لسلطانه. نعم، لقد كانت مرحلة حاسمةً في عملية التعرُّف على أعلى الآلهة سلطاناً وقوة.

ولقد عِيبَ على تقدُّم اليهودية نحو فكرة التوحيد أنها استمرتْ بالنظر إلى "يَهَوَه" (الربّ، الله) على أنه إلهٌ قَبَلِيٌّ.

ولقد صحَّح عيسى عليه السلام، هذه الشبهة أو المفهوم الخاطئ. إلا أن رسالة "ابن الله" [أستغفر الله، وحاشا لله أن يكون له ولد] أصبحت مخفيةً عندما اتخذ أتباعُهُ علاقته بربِّه [خالقه وبارئه] على أنها علاقةٌ "حرفية" بكلِّ ما في الكلمة من معنى.

لذا، كان لا بد أن يأتي رسولٌ آخر يدعو الناس إلى المفهوم الصحيح عن الله "الواحد الفرد الصمد الذي لا شريك له"، والذي هو ربُّ الخلق جميعهم. وإن هذا التقدم الأخير هو الإسهام الهام الذي قدَّمه الإسلام للتطور الروحي للبشرية. والحقُّ يُقال: "إن الكمال والحقيقة اللتين لا يمكن أن تُدْخِل أي تحسينٍ عليهما يجعلان محمداً ﷺ: "خاتَم الأنبياء جميعهم".

هل يمكن أخذ جزء من الإسلام فقط حسب الرغبة؟

بون ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

قد يُغْرَى المرء، بعد أن كان سابقاً خبيراً ومتمرساً باللاأدرية التي أوجدها الفيلسوف "لودويغ ويتغينستين"، قد يُغْرَى بأن يقترب من الإسلام بشيء من التخيُّر. ويحاول المرء بخاصةٍ أن يميز في القرآن الكريم بين الأفكار الدينية الثابتة الخالدة الصحيحة، وبين القواعد التي اندثرتْ وعفا عليها الزمن للحياة اليومية. ويحاول المرء أن يكون معتدلاً، متجنباً للغلو والمغالاة، ولذلك فهو يُسقِطُ المظاهر "القديمة البالية" التي نُسخَتْ بمرور الزمن...

أيصلي المرء خمس مراتٍ كل يوم؟ أيصوم المرء شهراً كاملاً في السنة؟ أيترك الإنسان المسكرات ودفع الربا أو قبوله؟ ربما لن يكون هذا أمراً سيئاً، ولكنه صعب التطبيق في المجتمع التقني المعاصر.

فإذا بدأ الإنسان يجاوب بهذه الطريقة، فإنه قد بدأ يحذف، أو يمنع بعض النصوص من القرآن الكريم مختاراً منه الجزء الذي يعجبه فقط، ومنخرطاً فيما يمكن أن يكون قبولاً اختيارياً لإرادة الله.

إنه قد عُرِفَ عن الذين يعتنقون الإسلام أنهم ينشرون معنى هادئاً آمناً للتوجُّه السليم؛ ويبدو أنهم في تناغمٍ سعيدٍ مع أنفسهم وذواتهم وبيئتهم. ولكن، كيف يمكن للمرء أن يتذوق ما يمكن أن يفعله الإسلام ما لم يكن استسلامه له مطلقاً وكاملاً؟

مسلمٌ رغماً عني...

بون. ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

لقد مرَّ عليَّ زمنٌ حتى الآن، وأنا أحاول جاهداً بكل ما وسعني للوصول إلى الدقة والاختصار، ولقد حاولتُ أن أكتب بطريقة منظمة كافة الحقائق الفلسفية، التي هي بنظري، يمكن تأكيدها دون أي شك. وكانت نتيجة هذا الصراع الطويل الذي استغرق حياتي كلها ضمن الحدود البشرية المتاحة للتوصل إلى الحقيقة لتكون هدية غير تقليدية لولدي ألكسندر[1].

وبصدد هذه المحاولة، فقد تبين لي أن الموقف العادي للشخص الملحد هو موقفٌ لا يدلُّ على ذكاء، وهو أن الإنسان لا يمكن أن ينعتق من قرارٍ يلزمه بالإيمان، وأن كل ما نجده حولنا مما يحيط بنا هو مخلوقٌ، وهذا أمرٌ واضح، وأن الإسلام، دون أدنى شك، يجد نفسه أشدَّ ما يكون تناغماً مع الحقيقة المطلقة الإجمالية. وهكذا، فقد أدركت، مع صدمة المواجهة، أنني خطوة بخطوة، ورغماً عني، بل ودون وعي لما يمرُّ بي من شعورٍ وتفكيرٍ تقريباً، أنني أصبحتُ - بحمد الله وتوفيقه - مسلماً [أكثر فأكثر].

ولم يبقَ لي إلا خطوة واحدة يجب عليَّ اتخاذها وهي: أن أعلن اعتناقي للإسلام بشكل رسمي.

(١) لقد أصبحت هذه الهدية الآن نشرة تقع في (١٦) ست عشرة صفحة فقط بعنوان: "اتجاه فلسفي إلى الإسلام" (الطبعة الألمانية الثالثة، ميونيخ، ١٩٩٧، وأما الطبعة الإنجليزية: كولونيا ١٩٨٣، والرقم العالمي الموحد للكتاب هو: ٤-٠٠٢٥-٨٢١٧-٣).

لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ

بون. ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

لقد أكرمني الله بالنطق بالشهادة، وأصبحت هذه الفكرة حقيقة ماثلةً للعيان. وقد نطقت بها في المركز الإسلامي في كولونيا قائلاً: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ".

وقد اخترتُ "مراد" اسماً لي.

واعتباراً من هذا اليوم فأنا مسلمٌ.

لقد وصلت...

obeikandl.com

لماذا لا نكرر الأمر أربعاً؟

بون. ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٨٠

إذا كان بالإمكان تصور الثالوث المقدس، فلماذا لا تسبقه "الرباعية"؟ وإذا كان "المولود الأول" [البكر]، أو ما يسمى: "نظرية الصدور أو الفيض في خلق العالم"، هو من الطبيعة ذاتها التي تنتمي إليها "العلة الأولى"، ولماذا لا تساهم نظرية صدور ثانية في تلك الطبيعة؟ ترى هل كان يمكن أن تتطور فكرة "التثليث" لو كان "آباء الكنيسة" [القساوسة الرهبان] غير عالمين بفلاسفة ما بعد أفلاطون مثل بلوتونيوس وبروكلوس، اللذين ميَّزا في أعمالهما *Liber de causis* بين كل من: "الوجود" (الأب)، و"السبب" (روح القدس)، و"الروح" (الابن؟): إنها رباعية الصدور، وهي أقرب ما يكون إلى الغنوطسية [مذهب العرفان، وإن المادة شر، وإن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية] كالنصرانية؟...

الدراويش الدوارون في قونية

بون ـ ٩ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٠

يُقَدِّمُ الدراويش الدوارون من قونية في صالة بيتهوفن في بون وكأنهم مجموعة رقص استعراضي. وبالتالي، يتوقع كثير من الجمهور مجموعة من الراقصين الدوارين الديونيسيين الشهوانيين، العربيدين، أو على الأقل مجموعة من الأشخاص "الطقسيعربديين" [وهي الطقوس السرية التي كانت تقام في أعياد آلهة الإغريق واليونان وتتميز بالغناء النشوان والرقص العربيد]، بدلاً من أن يتوقعوا احتفالاً تأملياً جمالياً سيقدَّم لهم. وأما الممثلون ـ وهم أناسٌ مدنيون مهذبون وعُبَّادٌ متزوجون ـ على خلاف ذلك تماماً، فهم يمثلون أقصى درجات شعر التدين التقليدي والموسيقى التركية.

ويبدأ احتفالهم عادة بأنشودة فارسية للمديح الإلهي للشاعر جلال الدين الرومي، يقدِّمها حافظٌ مكفوفُ البصر اسمه "كاني كاركا" بصوتٍ جليلٍ مهيبٍ جهيرٍ عميق. ويدخل دراويش المولوية وهم يرتدون ملابسهم الرمزية التقليدية دون أي صوت: وتمثِّلُ طرابيشهم القمعية اللبادية [المصنوعة من اللباد] حجارة القبور والأضرحة، وتبعثُ أثوابهم السوداء الطويلة ظلام القبور في النفوس، وأما معاطفهم "البوليرو" (وهي سترة فضفاضة يبلغ طولها الخصر) وتنانيرهم فتذكِّرُ بالأكفان؛ أكفان الميت.

ويبدأ الدراويش أولاً بثلاث دوراتٍ بخطواتٍ عادية متثاقلة. وكلما مروا بشيخهم في مكان الشرف والصدارة الذي يقفُ فيه (العمود)، يحنونَ رؤوسهم بالتبادل مع الدرويش التالي. كما أنهم ينحنون انحناء شديداً عندما يقبِّلون يد الشيخ، وينحني الشيخ بدوره قليلاً ليقبِّلَ طرابيشهم.

وفي ذلك الحين فقط يبدأ الدراويش التفافهم، وهم ابتداءً يعقدون أيديهم

على صدورهم واضعين الأكفَّ على الأكتاف. وبعد ثوانٍ فقط، يبسطون أيديهم حيثُ يبسطون الكفَّ الأيمن مرفوعاً إلى السماء، والكفَّ الأيسر يقلبونه باتجاه الأرض. (كل شيء من الله، من السماء. وكل شيء يتلقاه الدرويش يعطيه بحبٍ وسماحة نفس إلى أخيه الإنسان). ويدور الدراويش بهدوء وسكينة في الوقت ذاته، بل وحتى بإيقاعٍ لا يكاد يبين الجهدُ فيه، سواء أتوقَّفَ الدرويش في مكانه أم استمر في الحركة. وقد يعرِّفُ ناقد الباليه بأن حركة الدراويش هي لفتاتٌ إلى اليسار، من الداخل، خلال العدِّ من واحدٍ إلى أربعة، والاستعداد (تغيير الرجل التي يقف عليها) يستغرق ثلاثة أجزاء، ثم أرجحة الساق اليمنى لإتمام الالتفاف على الجزء الرابع.

ويتابع الدراويش هذه الحركات مدة تتفاوت ما بين ٢٠ ـ ٢٥ دقيقة رائعة يكاد المرء لا يصدق ذلك، ولا يظهر عليهم العَرَقُ، أو الدَّوْخةُ، أو انبهارُ النَّفَس وانقطاعه. وقد وُصِفَتْ هذه الألغازُ بعض الأحيان بأنها "الفراشات البيضاء"، وأحياناً أخرى بأنها "الكواكب التي تدور في مركز روحي". ولا عجب أن يشعر المشاهدُ وكأنه ينوَّمُ تنويماً مغناطيسياً وهو يراقب التفافاتهم ودورانهم الهادئ بموجات منتظمة؟ ويبدو المرء الآن وكأنه يقترب من اختراق طريقة مادية شديدة التنقية بأنه يستحثُّ علم جمالٍ دينيٍّ باسمِ الإسلام.

وقد تمتَّع شيخ هؤلاء الدراويش القديم سلمان طوزون، بسبب مكانته الهائلة بوقفةٍ استثنائيةٍ على المسرح تأخذ الألباب. وكان دورانه ناعماً جداً، بطيء الحركة، وكأنه في نشوةٍ أو حلم، إلا أنه مع كل ذلك يجذبُ الأبصار والأنظار إليه. وأدرك الجمهور الآن، كل رجلٍ وامرأةٍ فيه من الحضور، أن هذا الاحتفال ليس منظراً مؤلماً مألوفاً لراقصٍ طاعنٍ في السنِّ يرفض الإحالة على التقاعد. وإن ما نشهده هنا هو شخصيةٌ دائمة الشباب مبنية على الزهد والتنسك والعبادة.